المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

ضوابط تعظيم الله عز وجل وشعائره

اسم الباحث

أ.د / علي بن عبدالله السكاكر

أ. د. علي بن عبد الله بن حمد السَّكاكر

ضوابط في تعظيم الله -عزّ وجلّ- وشعائره

المقدمة

الحمد لله الذي تعاظمَت ذاتُه عن الإحاطة والتكييف، وجلَّت صفاته عن معاني النقص والتشبيه، نحمده تعالى كما ينبغي لجلال وجهه العظيم، ونشكره على ما أنعم علينا فهو المستحق للشكر والتبجيل، سبحانه مَن دانت لعظمته المخلوقات، وتلاشت أمام جبروته كُل عظمة المخلوقات، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله القائل عند الكرب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**»[1]، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدِّين.

لقد تجلَّت عظمةُ الله سبحانه في خضوع كل شيء لسلطانه، وانقياد الطغاة والجبابرة لقهره، كَيْفَ لا وهو الذي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، والذي: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾[الشورى].

وكما أنَّ الله عظيمٌ في ذاته فقد ظهرت عظمته في أمور كثيرة متنوِّعة، وإنَّك لتعجب إذ تقرأ القرآنَ كيف تجلَّت عظمةُ الله في رحمته وعقابه، وفي إحسانه وابتلائه، وفي نفسه وفي مخلوقاته، وفي أفعاله وصفاته:

فهو ذو الاسم العظيم، قال جلَّ شأنُه: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[الواقعة: ٧٤، ٩٦، الحاقة: ٥٢].

وهو ذو الفضل العظيم، قال سبحانه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[آل عمران]، وقال: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[آل عمران].

وقرآنُه الذي تكلَّم به وأنزله على خلقه نورًا وهدًى وبيانًا هو قرآنٌ عظيم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحجر].

وعرشُه الذي استوى عليه عظُم باستواء العظيم عليه، فقال سبحانه: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٢٩]، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾[المؤمنون]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾[النمل].

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٧٥ ح ٦٣٤٥) ومسلم (٨/ ٨٥ ح ٢٧٣٠).

واليوم الذي يجمع فيه الناس للحساب يوم عظيم، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾[النبأ]، وأهواله عظيمة كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾[الحج].

ومِن مظاهر عظمةِ العظيم أنَّ أعدَّ لعباده الصالحين أجرًا عظيمًا، قال جلَّ في علاه: وقال: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[آل عمران: ١٧٩]، وقال: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٣﴾[النساء]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾[النساء]، وقال عزَّ مِن قائل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٩﴾[المائدة].

وكما أنَّ نعيمَه عظيمٌ فكذلك عذابه عظيم، قال تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[البقرة: ٧]، وقال: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ۝٩٣﴾[النساء] خافَ الأنبياء على أنفسهم مِن عذابه العظيم: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[الأنعام: ١٥، يونس: ١٥]، وخافوا مِن عذابه على أقوامهم فقال نوحٌ وإخوتُه من الأنبياء مخاطبًا كُلٌّ منهم قومَه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[الأعراف: ٥٩، الشعراء: ١٣٥]، ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥٦﴾[الشعراء]، وهُدِّد به الأشقياء، قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾[مريم: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥﴾[المطفِّفين].

هذه النَّار التي مَن صَلِيَها فقد أصابه الخزيُ العظيم، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٣﴾[التوبة]، **وعذابُه الدُّنيويُّ قد يكون عظيمًا**، قال تعالى: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٦٨﴾[الأنفال]، وقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝١٨٩﴾[الشعراء].

ومِن عظمته أن عظَّم إيذاء رُسُلِه والمؤمنين به، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٗا﴾[الأحزاب:

٥٣]، وقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾[النور].

وقد يكون بلاؤه على عباده عظيمًا لا يكادُ يستطيع أحدٌ الصَّبر معه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة: ٤٩]، وقال: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾[الأنبياء].

هذا العظيمُ في ذاتِه وفي صفاته وفي مخلوقاتِه الخطأُ في حقِّه ليس كالخطإِ مع غيره، فإنَّ الذَّنب مع العظيم ليس كالخطأ مع الحقير، خاصَّةً إذا نُوزِع في حقِّه الأعظم وهو التَّوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٤٨]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]، وإذا افتُرِي عليه ووُصِفَ بالنَّقائص، قال تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[الإسراء].

هذه العظمة الإلهية التي تجلَّت في أمورٍ كثيرة ينبغي الاهتمام لشأنها، والعناية بها من ناحيةٍ علمية، خاصَّةً من جهة تفسير الآيات القرآنية التي أوردت هذه العظمة وبينتها، فكان من اللائق والجدير بأهل القرآن أن يدرسوا تلك العظمة في ضوابط، تكون جامعةً لأفراد كثيرة، يستفيد منها القارئ العادي والباحث المتخصص، فأحببتُ أن أجمع ما تقع عليه عيني من ضوابط في كتب أهل العلم ممّا يتعلق بعظمة الله سبحانه وشعائره.

وقد جعلتُ البحثَ في أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: ضوابط في عظمة الله في ذاته.

المبحث الثاني: ضوابط في الوسائل الموصلة إلى معرفة عظمة الله.

المبحث الثالث: ضوابط في سعي الشريعة لتعظيم الله سبحانه.

المبحث الرابع: ضوابط تطبيقية في تعظيم الله.

أسأل الله سبحانه أن ييسر الأمور، ويكتب الخير، إنه على كل شيء قدير.

المبحث الأول: ضوابط في عظمة الله في ذاته

الضابط الأول: عظمة الله لا يمكن إدراكها من كل جوانبها

عظمة الله لم يدركْها البشرُ، ولو أدركوها حقَّ إدراكها لهلكوا، فعن قتادة ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّ﴾[الشورى: ٥] قال: «من عظمة الله وجلاله»[(١)].

فعظمة الله أجلُّ من أن يحيط بها عقل، فهي فوق كل ما يُتَصَوَّر، فلا تستطيع العقول له تمثيلًا، ولا تتوَّهم القلوب له تشبيهًا؛ ولن يخطر ببال أحد أن شيئًا من مخلوقاته يمكن أن يحيط به سبحانه وتعالى؛ وذلك لكثرة صفات كماله ونعوت جلاله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

فهو (العظيم) الذي تتضاءل عند عظمته جبروتُ الجبابرة، وتصغُر في جانب جلاله أنوفُ الملوك القاهرة، فسبحان مَن له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكلّ شيء[(٢)].

يقول عبد العزيز الكناني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧﴾ [لقمان]: «يقول: ولو أنّ ما في الأرض من جميع الشّجر والخشب والقصب أقلامٌ يُكتب بها والبحرُ مداد يمدُّه من بعده سبعة أبحر بالمداد والخلائق كلّهم يكتبون بهذه الأقلام من هذا الشَّجر= ما نفدت كلمات الله، فمَن يبلغ عقله أو فهمه أو فكره كنهَ عظمة الله ﷻ وسعة علمه وكثرة كلامه!»[(٣)].

ويقول الأزهريُّ: «وعظمة الله لا تُكَيَّف، ولا تُحَدُّ، ولا تُمَثَّل بشيء، ويجب على العباد أن يعلموا أنه عظيم كما وصف نفسه وفوق ذلك؛ بلا كيفية ولا تحديد»[(٤)].

ويقول الماتريديُّ: «لا أحد يبلغ في معرفة تعظيم الله كُنْهَ عظمته»[(٥)]. وقال مرَّة مستنكرًا:

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٥) وأبو الشيخ في العظمة (١٩٤)، وسنده صحيح.

(٢) تفسير السعدي (١١٠).

(٣) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن (٤٨).

(٤) تهذيب اللغة (٢/ ٣٠٣).

(٥) تفسير الماتريدي (٣/ ٢٨٢).

«ومَن يقدر أن يعظِّم الله حقَّ عظمته!»[١]. وقال ثالثة: «تعظيم الله حقَّ عظمته ما لا يحتمله وسع الخلق»[٢].

وقال الرَّازيُّ: «ثمّ اعرف أنَّ عظمة العرش في مقابلة عظمة الله كالقطرة في البحر، فكيف يمكنك أن تصل إلى كُنْهِ عظمة الله؟!»[٣]. وقال: «كُنْهُ عظمة اللهِ لا تنتهي إليه عقولكم»[٤].

الضابط الثاني: التفكر يكون في آلاء الله وآياته العظيمة لا في ذاته

إنَّ الخوض والتَّفكُّر في الذَّات الإلهية أمر محرم، وإنَّما أمرنا أن نُتفكِّرَ في آلاء الله ﷻ؛ لذا جاء عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**تفكّروا في آلاء الله، ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا**»[٥]. فالمأمور به العبد أن يتفكَّر ويتأمَّل في آيات الله الكونية والشرعية.

أمَّا التَّفكُّر في ذات الله فقد يقود الإنسان إلى الشَّكِّ، وهذا الأمر من وساوس الشَّيطان ومن إضلاله للمؤمنين؛ ليخرجهم من الإيمان إلى الكفر -والعياذ بالله-، ولن يستطيع الإنسان بعقله المحدود أن يعرف قدر الله سبحانه وتعالى، قال جلَّ جلاله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

فقد ورد في الحديث أنَّه ﷺ قال: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ**»[٦].

الضابط الثالث: يعظم الله ذاته في القرآن كثيرًا

إنَّ مِن أعظم الأدلة على عظمة الله سبحانه كثرة تعظيمِ الله لذاته، فقد ورد في الحديث: «**لَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللهِ فَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ**»[٧].

---

(١) تفسير الماتريدي (٤/ ١٦٥).
(٢) تفسير الماتريدي (٨/ ٧٠٤).
(٣) مفاتيح الغيب (١/ ٢٣٩).
(٤) مفاتيح الغيب (١١/ ٢٤٢).
(٥) أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط: ٦٣١٩)، والبيهقي في (شعب الإيمان: ١٢٠) وقال: «وهذا إسنادٌ فيه نظر»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨١، ح٢٦٠): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الوازع بن نافع وهو متروك».
(٦) أخرجه مسلم (١٣٤).
(٧) متفق عليه؛ البخاري (٤٦٣٧)، ومسلم (٢٧٦٠).

وورد أيضًا وصف الله نفسه بالكبرياء والعظمة، واختصاصه بذلك، كما في الحديث القدسي: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِزَّةُ إِزَارِي»(١)، يعني: أنَّ ذلك من خصائصه التي لا يجوز أن ينازعه فيها أحدٌ، فإذا كان ذلك من خصائصه -سبحانه- فمنازعته ومشاقّته في شيء ممّا هو خاصٌّ به يعدُّ اعتراضًا على الله(٢).

والآيات التي وصف الله فيها ذاته بالعظمة منها ما هو صريحٌ، ومنها ما هو ضمنيٌّ. فقد وصف نفسه صراحة بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[النساء: ٣٤].

وحديث الله عن ذاته بصيغة الجمع دلالة على التَّعظيم الضمني، مثل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾ [الحِجر: ٩، الإنسان: ٢٣]، ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم﴾[الزُّخرُف: ٣٢]، يقول الشَّيخ ابن عُثيمين: «إثبات عظمة الله سبحانه وتعالى؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾[البقرة: ١٤٤]، فإنَّ ضمير الجمع للتعظيم»(٣).

ومنها تسبيح الله لذاته كثيرًا، قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾[الروم].

وتحميد الله لذاته كثيرًا، قال سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[الجاثية].

الضابط الرابع: إثبات الأسماء والصفات كما وردت في الشرع هو من تعظيم الله

تعظيم الله وإجلاله لا يتحقق إلَّا بإثبات الصِّفات لله تعالى كما يليق به سبحانه، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والذين ينكرون بعض صفاته تعالى ما قدروا الله ﷻ حق قدره، وما عرفوه حقَّ معرفته(٤).

ولمّا كان من أسماء الله تعالى الحسنى: (المجيد، والكبير، والعظيم) فإنَّ «معنى هذه الأسماء: أنَّ الله ﷻ هو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال، الذي هو أكبر من كلّ شيء، وأعظم من كلّ شيء، وأجلُّ وأعلى، وله التَّعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له، والتَّذلل لكبريائه»(٥).

وأسماء الله الدَّالَّة على العظمة والكبرياء تملأ القلب تعظيمًا ومهابة(٦).

---

(١) أخرجه أحمد (٨٨٩٣)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، وصححه الأرنؤوط.
(٢) المنهج القرآني في تعظيم الله تعالى (٢٦).
(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ١٢٦).
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٦٠).
(٥) تفسير السعدي (٥/ ٦٢٢).
(٦) المنهج القرآني في تعظيم الله تعالى (٢٩).

يقول الشَّيخ السِّعدي: «فالمؤمن الموحد يثبت الصفات كلها على الوجه اللائق بعظمة الله وكبريائه»(١).

ويقول الشَّيخ صالح آل الشَّيخ: «تعظيم الأسماء والصِّفات من كمال التَّوحيد، وأنَّ جحد الأسماء والصِّفات منافٍ لأصل التَّوحيد»(٢).

والمفاضلة بين أسماء الله وصفاته لا ينافي تعظيمه سبحانه وتعظيم أسمائه وصفاته. يقول ابن تيمية: «في قوله: (الله أكبر) إثبات عظمته، فإنَّ الكبرياء تتضمن العظمة، ولكنَّ الكبرياء أكمل، ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصَّلاة والأذان بقوله: (الله أكبر)، فإنَّ ذلك أكمل من قول: (الله أعظم)، كما ثبت في الصَّحيح عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: **(يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته)**(٣)، فجعل العظمة كالإزار والكبرياء كالرِّداء، ومعلوم أنَّ الرداء أشرف، فلمَّا كان التَّكبير أبلغ من التَّعظيم صرَّح بلفظه، وتضمن ذلك التَّعظيم»(٤).

الضابط الخامس: احترام أسماء الله من تعظيم الله

إنَّ أسماء الله تعالى محترمة، ومن احترامها تغيير الاسم الذي لا يليق إلَّا بجنابه إجلالًا له وعظمة، فعن أبي شريح أنَّه كان يَكتنى أبا الحكم، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله هو الحكم، وإليه الحكم**». فقال: إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمتُ بينهم، فرضي كلا الفريقين، فلذا سُمِّيت أبا الحكم. فقال: «**ما أحسن هذا! فما لَك مِن الولد؟**»، قال: شريح ومسلم وعبد الله. قال: «**فمَن أكبرهم؟**»، قلت: شريحٌ. قال: «**فأنت أبو شريح**»(٥).

ويدخل في احترام أسماء الله ألَّا يُسأل بوجه الله إلَّا الجنة. يقول الشَّيخ صالح آل الشيخ: «تعظيم الله -جلَّ وجلاله- وتعظيم أسمائه وصفاته يكون بأمور كثيرة، منها: ألَّا يُسأل بوجه الله أو بصفات الله جل جلاله إلا المطالب العظيمة التي أعلاه الجنة»(٦).

---

(١) التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية (٢٣).
(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٣٥).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٣).
(٥) فتح الله الحميد المجيد (٤٠٤). والحديث أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنَّسائيُّ (٥٣٨٧)، وصححه الألباني في (الإرواء: ٢٦١٥)، وصحيح الجامع (١٨٤١).
(٦) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٢٥).

ويدخل في ذلك عدم إكثار ذكر اسم الله في الحلف، قال تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾[المائدة: ٨٩]، يقول الشَّيخ صالح آل الشيخ: «وهذا الأمر للوجوب؛ لأنَّه وسيلة لتحقيق تعظيم الله»(١).

ولأجل ذلك جاء في الحديث ذمًّا لِمَن يُكْثِرُ الحلِف: «**ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلَّا بيمينه، ولا يبيع إلَّا بيمينه**»(٢).

ومن احترام أسماء الله الحسنى: **تركُ تصغيرها** تعظيمًا لله وإجلالًا.

يقول الشَّيخ بكر أبو زيد: «وقاعدة الباب كما ذكرها أبو حيان -رحمه الله تعالى-: لا تُصَغِّر الاسم الواقع على من يجب تعظيمه شرعًا، نحو أسماء الباري تعالى، وأسماء الأنبياء -صلوات الله عليهم-، وما جرى مجرى ذلك؛ لأنَّ تصغير ذلك غضٌّ لا يصدر إلَّا عن كافر أو جاهل»(٣).

الضابط السادس: كل عظيم دون الله عظمته مقيدة، إلا الله فله العظمة المطلقة

لأنَّ عظمة الله لا يستحقُّها أحدٌ من خلقه، فله العظمة الكاملة المطلقة، وقد سمَّى الله سبحانه وتعالى نفسه بـ(العظيم) وهو على وزن (فعيل) بصيغة المبالغة، بما يدلّ على منتهى العظمة لله تعالى، بحيثُ لا تعلوها عظمة مخلوق. وبهذا الاسم الكريم أثبت الله جلَّ جلاله لنفسه العظمة المطلقة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

قال الشَّيخ السِّعدي: «من معاني عظمته تعالى: أنَّه لا يستحقّ أحدٌ من الخلق أن يُعَظَّم كما يُعَظَّم الله، فيستحقُّ -جلَّ جلاله- من عباده أن يعظِّموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبته، والبذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللِّسان بالثَّناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته ... إلخ»(٤).

ويقول الغزاليُّ: «النَّبيُّ عظيمٌ في حقِّ أُمَّته، والأستاذ في حقِّ تلميذه؛ إذ يقصر عقلُه عن الإحاطة بكنه صفاته، فإن ساواه أو جاوزه لم يكن عظيمًا بالإضافة إليه، وكلُّ عظيم يفرض غير الله ﷻ فهو ناقصٌ وليس بعظيم مطلق، لأنَّه إنَّما يظهر بالإضافة إلى شيءٍ دون شيء،

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٦٤).

(٢) أخرجه الطبراني في (المعجم الصغير: ٣٥٤٤)، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٤/ ٧٨): «ورجاله رجال الصحيح».

(٣) معجم المناهي اللفظية (٤٩٦).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢١٧).

سوى عظمة الله تعالى فإنَّه العظيم المطلق لا بطريق الإضافة»[١].

يقول محمد رشيد رضا في معرض ذكر أدلّة مَن قالوا: إنَّ السُّنَّة لا تنسخ الكتاب: «وتعظيم الله -تعالى- أولى، ثمّ تعظيم رسوله يتلو تعظيمَه ولا يبلُغه، وإنَّما يطاع الرَّسول ويتَّبع بإذن الله»[٢].

(١) المقصد الأسنى (١٠٥).

(٢) تفسير المنار (٢/ ١١٣).

المبحث الثاني: ضوابط في الوسائل الموصلة إلى معرفة عظمة الله

الضابط الأول: التأمل في مخلوقات الله توصلك إلى تعظيم الله

إنَّ التَّأمُّل والتَّفكُّر في آيات الله ومخلوقاته من الذَّرَّة إلى العرش سببٌ موصولٌ إلى تعظيم الله والإيمان به، والآيات في هذا الباب كثيرة معلومة، وسيمر معنا شيئ منها في صفحات هذا البحث.

يقول الماتريديُّ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [المُلك]: «إنَّما أراد بالنَّظر في خلق الله تعالى ليتقرَّر عنده عظمةُ الله تعالى وسلطانه»[١].

ويقول الغزاليُّ بعد أن ذكر شيئًا من عجائب صنع الله في خلقه: «وإنَّ في صناعة الحيوانات من هذا الجنس عجائب؛ لو أوردتُ منها طرفًا لامتلأت الصُّدور من عظمة الله تعالى وجلاله»[٢].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدَّالَّة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه»[٣].

ويقول الشَّيخ ابن عثيمين: «وننظر في السَّموات والأرض فنستدلّ به على عظمة الله وقدرته؛ لأنَّ عظم المخلوق يدلّ على عظم الخالق»[٤]. وقال الشَّيخ ابن عثيمين أيضًا: «والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة، منها: العلم بعظمة الله تعالى وقوته وسلطانه؛ فإنَّ عظمة المخلوق من عظمة الخالق»[٥].

الضابط الثاني: الإيمان بالقدر يوصلك إلى تعظيم الله

من فوائد الإيمان بالقدر تعظيم الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ التَّعظيم الواجب له سبحانه؛ لأنَّ الإيمان بالقدر على ما يعتقده أهل السُّنَّة والجماعة يجعلك تعتقد شمولَ علمه، ونفوذَ مشيئته، وعموم خلقه لكلِّ شيء[٦].

---

(١) تفسير الماتريدي (١٠/ ١٠٨).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (٥٥).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٨).

(٤) شرح العقيدة السفارينية (١٥١).

(٥) شرح ثلاثة الأصول (٩٢). وانظر قريبًا منه في: تفسير العثيمين: جزء عمّ (١٤٦).

(٦) مقدمة الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ٥٩).

فالآمال والثقة والتسليم والرضى التام يجب أن تتعلق بالله تعالى العظيم في ملكه الواسع في قدرته وعلمه. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾[الرعد: ٢٢].

ومن أنواع الصَّبر التي ذكرها المفسرون في الآية: الصَّبر على الرَّزايا والمصائب وأقدار الله، قال عطاء: الصَّبر: على المصائب والنَّوائب[١]. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ طلب تعظيم الله[٢].

الضابط الثالث: سلامة الفطرة تعين على معرفة عظمة الله

إنَّ تعظيم الله أمر فطريٌّ في البشر؛ لأنّ النفوس السَّليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وهل تُحِبُّ وتُعَظِّم وتَعْبُد إلَّا من علمت أنَّه متَّصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟[٣].

ففي حديث الجارية التي أشارت إلى السَّماء عند ما سألها النَّبيُّ ﷺ: «أين الله؟» فلمَّا أشارت إلى السَّماء علم النَّبيُّ ﷺ عظمة الله تعالى عندها، ووحدانيته، ونفرتها من آلهة الأرض التي كانوا يعبدونها[٤].

فكلّ صاحب فطرة مستقيمة لا يمكن أن يجيب على مثل هذا السُّؤال إلَّا بمثل ما أجابت به الجارية، يقول د غالب العواجي: «الفطرة هي التي يشعر الإنسانُ بواسطتها عظمة الله»[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[الطور]. تخاطب هذه الآيات فطرة الإنسان، وتجعله يقف على حقيقته وحقيقة وجوده ووجود الكون من حوله وما فيه، وتُشبع فطرته عن كل تساؤلاته حول هذه الحياة وما بعدها في العالم الآخر، وتثير في فطرته ما كان كامنًا في التوجه إلى خالق هذه الحياة، وإلى الرغبة الكامنة في الالتجاء إليه، والخضوع والعبادة له، وهذه الفطرة هي التي يشعر الإنسان بواسطتها عظمة الله، والرغبة في الخضوع له، والدليل على ذلك أنه لم يخل جيل من الأجيال على امتداد التاريخ من التديُّن والتوجه إلى الله[٦].

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٣١٢).
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٢١)
(٣) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (١٩).
(٤) إيضاح الدّليل في قطع حجج أهل التعظيم (١٧٢)، وقصة الجارية رواها مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) المذاهب الفكرية المعاصرة (٢/ ١١٤٠).
(٦) المصدر نفسه.

الضابط الرابع: معرفة التوحيد باب مُوصِلٌ إلى التعظيم

فمعرفة عظمة الله وقدرها واستشعارها لا تكون إلا بعد الإيمان الكاملِ بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

فالله مُعَظَّم في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وبراهين التَّوحيد الدَّالة على عظمته كثيرة تُدرَك بالعقل وبالفطرة وبالسَّماع، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور]، وهذه الآيات فيها دليلٌ على عظمة الله في ربوبيته.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[الفاتحة]، وقوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم]، فهذه تدلّ على عظمة الله في ألوهيته.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[سبأ: ٢٣]، وفيه دليلٌ على عظمة الله -جلَّ وعلا- في صفاته.

يقول ابن القيّم: «فإنَّ التَّوحيد الخالص الذي لا يشوبه شركٌ لا يبقى معه ذنبٌ؛ لأنّه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده= ما يوجب غسل الذُّنوب ولو كانت قُراب الأرض، فالنَّجاسة عارضة، والدَّافع لها قوِّي»(١).

ومعرفة الإله المألوه المعبود الموصوف بصفات الكمال، يزيد القلب خشية وإجلالًا وتعظيمًا.

يقول ابن تيمية: «فالقلب إذا صدق بما يستحقَّه الله تعالى من الألوهية، وما يستحقّه الرَّسول من الرِّسالة؛ تَبِع ذلك لا محالة محبّة الله سبحانه ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتعظيم الله ﷻ ورسوله»(٢).

وكلُّ ما زاد التَّوحيد عند المرء؛ زاد قلبه معرفة وخشية وتعظيمًا. يقول ابن القيّم: «وهذه المنزلة -أي: منزلة تعظيم الله ﷻ- تابعةٌ للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرَّبِّ تعالى في القلب، وأعرف النَّاس به أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا»(٣).

ولذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] فسَّرها السَّمين الحلبيَّ بقوله: «إنَّما يعظِّم الله من عباده العلماء»(٤).

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٦٤).
(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (١٩٤).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٣).
(٤) الدر المصون (٩/ ٢٣١).

الضابط الخامس: تدبُّر القرآن يُعين على معرفة عظمة الله سبحانه

إنَّ تدبر القرآن من أعظم ما يعين على أبواب العلم المؤدِّية إلى زيادة الإيمان بالله وتعظيمه، فقد أنزل الله كتابه المبين على عباده هدى ورحمة وضياء ونورًا وذكرى للذاكرين، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾[الحشر: ٢١].

ومن تدبَّر الآيات المحكمات، وقرأ آيات الوعد والوعيد والآيات المتعلِّقة بالكون ودقّة صنع الخالق وإحكامه تحقَّق في قلبه وجوارحه معاني التعظيم لله ﷻ.

والقرآن العظيم أثبت عظمة الله تعالى بأدلّة مختلفة، وأمرنا بتعظيمه في قوله: ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾[الإسراء: ١١١]، أي: عظِّمه تعظيمًا شديدًا(١).

ومن الأدلّة على عظمة الله الواردة في القرآن: خلق السَّماوات والأرض ومن فيهما.

ومنها: أفعاله المبينة لعظمته؛ كخلق اللَّيل والنَّهار، وإيجاد التَّعاقب بينهما، قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[آل عمران].

وفي أعظم آية في القرآن -آية الكرسيِّ- يقول تعالى فيها: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥] فجمعت هذه الآية العظمة بكلّ صورها؛ عظيم في ذاته، عظيم في علمه، عظيم في علوه، وعالٍ في عظمته سبحانه وتعالى.

ثم نجد في آية أخرى أنَّ من لم يُعظِّم الله ﷻ متوَّعد بأشد العذاب أن يكون من أصحاب الشّمال؛ فبعد وصف شدّة العذاب الذي سيلقاه أصحاب الشّمال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣﴾[الحاقة]، فالذي يؤمن بالله العظيم لا يمكن بحال أن ينتهك الحُرُمات، ولا يمكن أن يقع في شِراك الدُّنيا؛ فيفتنه المال والجاه والسلطان، وتشغله تلك الفتن عن حقوق الله -تبارك وتعالى-.

يقول ابن القيّم: «تأمّل خطاب القرآن؛ تجد ملِكًا له الملك كله، وله الحمد كله، أزمة الأمور كلّها بيده، ومصدرها منه، ومردّها إليه، لا تخفى عليه خافيةٌ في أقطار مملكته، عليمًا بما في نفوس عبيده، مُطَّلِعًا على أسرارهم وعلانيتهم، منفردًا بتدبير المملكة»(٢).

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٩٠).

(٢) الفوائد (٢٨).

المبحث الثالث: ضوابط في سعي الشريعة لتعظيم الله سبحانه

الضابط الأول: من مقاصد الشريعة تعظيم الله

إنَّ تعظيم الله مقصد لكلِّ ما شُرِع مِن العبادات القلبية والبدنية، فقد جاء بعد آيات الصَّوم: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[البقرة: ١٨٥].

وجاء بعد آيات الحجّ والهدي وإرقة الدِّماء: ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[الحج: ٣٧]، فاللَّام للتَّعليل، كأنَّ الله يقول: كلُّ ذلك من أجل أن تعظِّموه وتكبِّروه.

كما أنَّنا نجد في آيات يعطف الخشية مع الطَّاعة بعد التَّسليم التَّامّ المطلق لله ولرسوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور]. وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء: ٦٥].

يقول الرَّازيُّ: «حاصل شريعته تعظيم الله»(١)، وقال: «والعمدة الكبرى في الإيمان: تعظيمُ الله تعالى بأقصى الإمكان»(٢). وعرَّف العبادة بقوله: «هي عبارة عن الإتيان بفعل مشعر بتعظيم الله تعالى على أقصى الوجوه في التعظيم»(٣).

ويقول الخازن: «دين الإسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله، والثناء عليه، والانقياد لأمره ونهيه، واتباع طاعته، والأمر بعبادته، والتبرؤ من كل معبود سواه»(٤).

ويقول النيسابوري: «وحاصل شرعه تعظيم الله، وتنزيهه عما لا يليق به، والانقياد لطاعته»(٥).

ويقول ابن عادل: «والعمدة في الإيمان تعظيم الله تعالى»(٦).

ويقول الشَّيخ السِّعدي: «أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء

---

(١) مفاتيح الغيب (١٦/ ٣٢).

(٢) المصدر نفسه (١٦/ ٩٥).

(٣) المصدر نفسه (١٦/ ١٥٣).

(٤) لباب التأويل (٢/ ٣٥٣).

(٥) غرائب القرآن (٣/ ٤٥٨).

(٦) اللباب (١٠/ ١٣٨).

بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل، ومناقضٌ له أشدّ المناقضة»[١].

حتى الذِّكر شُرِعَ لتحقيق عظمة الله في القلب. يقول الشِّربيني في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾[الأعراف: ٢٠٥]: «والمراد بالذِّكر في النَّفس أن يستحضر في قلبه عظمةَ الله تعالى جلَّ جلاله؛ لأنَّ الذِّكر باللِّسان إذا كان عاريًا عن ذكر القلب؛ كان عديم الفائدة؛ لأنَّ فائدة الذِّكر حضور القلب، وإشعاره عظمة المذكور تعالى»[٢].

ثمَّ إنَّ تعظيم شعائر الله من تعظيم الله[٣]، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾[الحج].

والمراد بالشَّعائر: أعلام الدِّين الظَّاهرة، ومنها: المناسك كلّها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١٥٨]، ومنها: الهدايا والقُربان للبيت.

ومعنى تعظيمها: إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، ومنها الهدايا، فتعظيمها باستحسانها واستسمانها، وأن تكون مُكَمَّلَة من كلِّ وجه، فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظِّم لها يبرهن على تقواه وصحَة إيمانه؛ لأنَّ تعظيمَها تابعٌ لتعظيم الله وإجلاله[٤].

يقول ابن القيم: «علامة التعظيم للأوامر: رعاية أوقاتها وحدودها، والتَّفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحينها في أوقاتها والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حقٍّ من حقوقها؛ كمن يحزن على فوت صلاة الجماعة ويعلم إنَّه وإن تقبلت منه صلاته منفردًا، فإنَّه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا»[٥].

يقول الشَّيخ السِّعدي: «فتعظيم شعائر الله صادرٌ من تقوى القلوب، فالمعظِّم لها يبرهن على تقواه وصحَّة إيمانه؛ لأنَّ تعظيمها تابعٌ لتعظيم الله وإجلاله»[٦].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٤٢).
(٢) السراج المنير (١/ ٥٥٠).
(٣) المنهج القرآني في تعظيم الله تعالى (٢٣).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (٥٣٨).
(٥) الوابل الصيب (٧-٨).
(٦) تيسير الكريم الرحمن (٥٣٨).

الضابط الثاني: العبادات المحضة غير المعقولة إنما شرعت لتحقيق تعظيم الله

إنَّ أول مراتب التعظيم في العبادات هو التصديق والتسليم لأمر الله، ثم الإتيان بالعبادة على أكمل وجه، أمَّا السؤال عن الحكمة: لِمَ أمر اللهُ بكذا؟ ولِمَ نهى الله عن كذا؟ فهذا ليس من التعظيم التامِّ خاصةً فيما خفي علينا من الحِكم في الأحكام.

والمقصود أنَّ الحكم الشرعي لا يخلو عن حكمة ومصلحة، لكن قد تُعلم هذه الحكمة فيسهل الامتثال، وقد تكون الحكمة منه التَّعبد المحض، ليعلم الله مَن يطيعه ومن يعصيه. وهذا هو الابتلاء، كما ابتلى الله نبيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بذبح ابنه[١].

ولهذا لم يسأل الصَّحابةُ النَّبيَّ ﷺ: لِمَ أمر الله بكذا؟ ولِمَ نهى عن كذا؟ ولِمَ قَدَّر كذا؟ ولِمَ فعل كذا؟ لأنهم أكمل الناس عقولًا وإيمانًا وتسليمًا.

يقول القرطبيُّ: «فإنَّه تعبَّدنا بعبادات محضة ذوات أفعال وأركان؛ كالصَّلاة والحجِّ وغير ذلك، وكلّ ركن من أركانها فالمقصود به تعظيم الله تعالى، وخضوعٌ له بالظَّاهر والباطن، حتى تؤدّي كلّ جارحة من الجوارح حظَّها من تعظيم الله تعالى»[٢].

أمَّا مَن سأل مستفهمًا راغبًا في العلم فلا بأس، كما نقل ذلك القرطبيُّ عن ابن عبد البر أنَّه قال: «فمَن سأل مستفهمًا راغبًا في العلم ونفي الجهل عن نفسه، باحثًا عن معنًى يجب الوقوف في الدِّيانة عليه؛ فلا بأس به، فشِفاء العِيّ السُّؤال. ومَن سأل مُتَعَنِّتًا غير متفقِّهٍ ولا متعلِّمٍ؛ فهو الذي لا يحلّ قليل سؤاله ولا كثيره»[٣].

الضابط الثالث: تعظيم الله في شرعه يؤخذ من الطرق الشرعية لا من غيرها.

فلا يكون تعظيمٌ لله إلا وفق ما جاء به الشرع من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وليس كلُّ تعظيمٍ لله من قِبَلِ الناس يكون تعظيمًا إلا إذا وافق دليلًا من الشرع، فكم مِن مريد للخير لا يصيبه.

يقول الشَّيخ الأمين الشنقيطي: «ومن تعظيم الله وتعظيم رسوله الاقتداء به ﷺ في تعظيم الله»[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٠٠).
(٢) الإعلام بما في دين النصار من الفساد والأوهام (٤٤٢).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣٣٣).
(٤) أضواء البيان (٧/ ٤٠٥).

لأجل ذلك قد يكون في قلب الكافر شيء من تعظيم الله سبحانه وتعالى. يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ الكافر يعظِّم الرَّبَّ، ويعتقد أَن ما هو عليه من الدِّين الباطل ليس باستهزاء بالله ولا مسبَّة له»(١). وقال في موضع آخر: «وذلك أنَّ الكافر يتديَّن بكثير من تعظيم الله»(٢).

بل إنَّ من أسباب الشَّرك: التعَّظيمُ في غير محلِّه، يقول الرَّازيُّ: «أولئك الكفَّار توهَّموا أنَّ عبادة الأصنام أشدُّ في تعظيم الله من عبادة الله سبحانه وتعالى، فقالوا: ليست لنا أهليةٌ أن نشتغل بعبادة الله تعالى، بل نحن نشتغل بعبادة هذه الأصنام، وأنّها تكون شفعاء لنا عند الله تعالى»(٣).

ومِن ادِّعاء عظمة الله في غير موضعها ردُّ بعض الأسماء والصِّفات بدعوى التَّعظيم، يقول البربهاري: «وإذا سمعت الرَّجل يقول: إنَّا نحن نعظِّم الله؛ إذا سمع آثار رسول الله ﷺ، فاعلم أنَّه جهمي، يريد أن يردَّ أثرَ رسول الله ﷺ، ويدفعَ بهذه الكلمة آثارَ رسول الله ﷺ، وهو يزعم أنَّه يعظِّم الله وينزِّهه إذا سمع حديث الرُّؤية، وحديث النُّزول وغيره، أفليس قد ردَّ أثرَ رسول الله ﷺ! وإذا قال: إنَّا نحن نعظِّم الله أن يزولَ من موضع إلى موض؛ع فقد زعم أنَّه أعلم بالله من غيره»(٤).

الضابط الرابع: رفع الحرج عن المكلفين في الشريعة يزيد من تعظيم الله ولا ينقصه.

وردت آيات كثيرة تُبيّن أنَّ الله لا يُكلِّف نفسًا فوق طاقتها، ولا يُكلِّف نفسًا إلَّا وسعها وقدرتها، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[الطلاق: ٧]، وقال: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٣٣].

وهذا يدلّ على سعة رحمة الله ﷻ، وأنّ هذا الدِّين يُسْرٌ، كلّ ذلك من أجل أن نعظِّم الله في قلوبنا بأنَّه لم يُكَلِّفْنَا ما لا يُطاق.

ومن الأمثلة على ذلك: ما جاء عن أبي موسى الأشعري، قال: أرسلني أصحابي إلى النَّبيِّ ﷺ أسأله الحُمْلَان، فقال: «**«وَاللهِ لَا أَحْمِلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ»**. ووافقته وهو غضبان، فلمَّا أتيته، قال: «**انطلق إلى أصحابك فقل: إنَّ الله -أو: إنَّ رسول الله ﷺ- يحملكم**»(٥).

---

(١) الصارم المسلول (٥٤٦).
(٢) المصدر نفسه (٥٥٧).
(٣) مفاتيح الغيب (١٧/ ٢٢٧).
(٤) شرح السنة للبربهاري (١٢٥).
(٥) أخرجه البخاري (٦٦٧٨).

قال الطُّوفيُّ: «وفي حديث أبي موسى حيثُ جاء يستحمله فقال: **(والله لا أحملكم)** ثمّ حملهم، فسألوه، فقال: **(ما أنا حملتكم، بل الله حملكم، وأنا والله -إن شاء الله- لا أحلف على يمين فأرى غيرَها أحسنَ منها إلَّا كفَّرت عن يميني وأتيتُ الذي هو خير)**. قلت: وجه سؤاله من هذا: أنَّ الحِنثَ في اليمين استخفافٌ بحقِّ الله، وتهوين بعظمته. والجواب: أنَّ دين الإسلام مبنيٌّ على رفع الحرج والضّيق، بناءً على أنَّ الغرض من تكليف الخلق تعظيمُ الله والانقياد له، لا لحوق المشقّة لهم بذلك، فمتى أمكن الجمعُ بين تعظيمه تعالى ورفع الحرج عن المكلفين؛ كان ذلك حسنًا جائزًا، وتعظيم الله -سبحانه- في باب الأيمان يحصل إمّا بالتزام العقد معه بأن لا يَحنث فيها، مثل أن يحلف أن يفعل فيفعل، أو: لا يفعل فلا يفعل، أو: بالتَّكفير إن خالف ما حلف عليه؛ لأنَّ في التزام التَّكفير بجزء من المال المحبوب طبعًا، أو بالتَّعبد بإلحاق المشقَّة بالصَّوم للبدن تعظيمًا لله -سبحانه- ولا بدّ، وقد نصَّ عليه القرآن، ولعلّ التَّعظيم بذلك أشدّ من التَّعظيم بالتزام ما حلف عليه؛ إذ قد يحلف أن لا يأكل هذه اللُّقمة فتركها عليه يسير غالبًا، فإذا أكلها لمصلحة دينية، وأعتق عِوَض ذلك رقبة أو أطعم أو كسا عشرة مساكين أو صام ثلاثة أيَّام متتابعة= كان ذلك لا شكَّ أبلغ في تعظيم الله -جل جلاله وتبارك اسمه-»[(١)].

الضابط الخامس: من تعظيم الله في الشريعة تعظيمُ ما ذُكِر عليه اسمه:

أ- ومن ذلك: أنَّ تعظيم الله يُوجِب على الإنسان القَبُول بما يُحلَف له بالله.

يقول الشَّيخ سليمان في شرح قول جدِّه: (باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله): «أي: من الوعيد؛ لأنَّ ذلك يدلّ على قِلَّة تعظيمه لجناب الرُّبوبية؛ إذ القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله وعِزَّته وكبريائه= لا يفعل ذلك»[(٢)].

ويقول الشَّيخ السِّعدي: «وكذلك لو بذلتَ له اليمين فلم يرضَ إلَّا بالحلف بالطَّلاق، أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات، فهو داخل في الوعيد؛ لأنَّ ذلك سوء أدب، وترك لتعظيم الله»[(٣)].

ب- ومن ذلك: أنَّه إذ جعل للأعداء ذِمَّة الله وذِمَّة رسوله، فإنه لا يجوز الإخلال بها.

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٦٧٦).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٥١٦).

(٣) القول السديد (١٤٥).

يقول الشيخ السعدي: «البعد والحذر من التَّعرض للأحوال التي يُخشى منها نقض العهود والإخلال بها، بعد ما يجعل للأعداء المعاهدين ذِمَّة الله وذِمَّة رسوله، فإنَّه متى وقع النَّقض في هذه الحال= كان انتهاكًا من المسلمين لذِمَّة الله وذِمَّة نبيه، وتركًا لتعظيم الله»[١].

ج- ومن ذلك أنه إذا سُئِل بالله أعطي.

يقول الشَّيخ صالح الفوزان في قوله: **(ومن سأل بالله فأعطوه)**: «وفي إعطائه دليلٌ على تعظيم الله»[٢].

(١) القول السديد (١٨٤).

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (١٤٨).

المبحث الرّابع: ضوابط تطبيقية في تعظيم الله

الضابط الأول: لا تحصل حقيقة التعظيم إلا إذا شملك تعظيم الله عما سواه.

تعظيم الرَّبِّ غايته وثمرته ما يحصل في القلب من آثار وخشية ومهابة، فكلُّ أعمال القلوب متوجِّهة للرَّبِّ معظِّمةً له، فتعظيم الله باللِّسان دون تعظيمه بالقلب هو تعظيم المنافقين؛ لأنَّ مَن عظَّم الله بلسانه دون قلبه فلن يخشى الله حقَّ الخشية، ولم يراقبه حقّ المراقبة، ومن عظَّمه في قلبه وامتلأ قلبه خشيةً؛ فلن تستطيع الجوارح مخالفته.

يقول ابن غنَّام النَّجديُّ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[التوبة: ٢٤]: «فمَن ملأت هذه المحبَّةُ زوايا قلبه؛ صار قلبُه مشكاةً، مصباحُها معرفةُ الله تعالى المشرقةُ أنوارُها، البديعةُ أسرارُها، فلا يبقى حينئذ فيه سوى عظمة الله تعالى وخوفُه ومهابتُه وإجلالُه والأنسُ به والشَّوق إليه، وتصير هذه الأحوال في قلبه بسبب المعرفة مشاهدةً له بعين البصيرة، فلا تستطيع الجوارح الظَّاهرة أن تبعث إلى شيء من الأشياء أو عمل من الأعمال إلَّا بموافقة ما رسا ورسخ في القلب»[(١)].

ويقول الغزاليُّ في ذلك: «فإنَّ موجب الخشوعِ استشعارُ عظمة الله»[(٢)].

ويقول الصَّابوني في سبب خشية الملائكة من الله: «خائفون حذرون لأنهم يعرفون عظمة الله»[(٣)].

قال بعضهم: «من أمارات المعرفة بالله: حصول الهيبة منه، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته»[(٤)].

الضابط الثاني: تعظيم غير الله بما هو من تعظيم الله هو في حقيقته تنقص لله وشرك به

إنَّ من أعظم أسباب وقوع الشِّرك: تعظيم غير الله، ومساواته مع الله في المحبَّة والتَّعظيم، ولذلك يقول الله -سبحانه وتعالى- في أوَّل (سورة الأنعام): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ أي: يجعلون

---

(١) العقد الثمين (٩٩).

(٢) الجواهر الحسان (٣/ ٥٠٢).

(٣) صفوة التفاسير (٢/ ٢٣٨).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٣٣٨).

أحدًا عديلًا له، يساويه بالله في المحبَّة، وفي التَّعظيم والتَّقديس.

قال البغوي: «﴿يَعْدِلُونَ﴾ أصله مِن مساواة الشَّيء بالشَّيء، ومنه العدل، أي: يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال: عدلتُ هذا بهذا: إذا ساويتُه»(١).

ويقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥] فالعدل والتَّسوية هي في المحبَّة والتَّعظيم والتَّقديس؛ لا في اعتقاد أنّهم يخلقون كخلق الله، أو يرزقون كما يرزق الله سبحانه.

فمَن قَدَّس أو عظَّم أحدًا بما يُعَظَّم به الله -سبحانه وتعالى- فقد أشرك به مع الله، وإن كانت النِّيَّةُ في الأصل سليمةً، حتى لو كان هذا المعظَّم مَلَك مقرَّب أو نبي مرسل.

يقول ابن تيمية: «فمَن أحبَّ شيئًا كما يحبُّ الله، أو عظَّمه كما يعظِّم الله؛ فقد جعله لله ندًّا»(٢).

وقال الشَّيخ ابن عثيمين: «لو ركع الإنسان أو سجد لشيء يعظِّمه كتعظيم الله في هذا الرُّكوع أو السُّجود لكان مشركًا خارجًا عن الإسلام»(٣).

ويقول الشَّيخ صالح آل الشَّيخ: «الواجب أن يُنَزِّه العبدُ لفظَه حتى يعظِّم اللهَ جلَّ وعلا، والقلب المعظِّم لله -جلَّ وعلا- لا يمكن أن يستعمل لفظًا فيه جعلٌ لمخلوق في مرتبة الله -جلَّ وعلا- في المشيئة أو في الحلف أو في الصِّفات، ونحو ذلك»(٤).

ولذلك رأى بعض العلماء ألَّا يجمع الله ورسوله في ضميرٍ واحدٍ يعود إليهما؛ في حديث مَن قال: مَن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، قال له: «**بئس الخطيب أنت؛ قل: ومن يعص الله ورسوله**»(٥). يقول السَّمين الحلبيُّ: «قصدًا إلى تعظيم الله»(٦).

يقول ابن تيمية عن السَّلف والأئمة: «لعلمنا بعظمة الله في قلوبهم نعلم أنّهم كانوا ينزِّهونه عن النَّقائص والعيوب»(٧).

---

(١) تفسير البغوي (٢/ ١٠٨).
(٢) جامع الرسائل (٢/ ٢٨٨)، وقاعدة في المحبة (١٠٢).
(٣) فتاوى مهمة لعموم الأمة (٩٧).
(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٥٧).
(٥) أخرجه مسلم (٨٧٠).
(٦) الدر المصون (٩/ ١١٠).
(٧) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٨٦).

الضابط الثالث: لا يجتمع تعظيم الله والتلبس بالمعاصي

إنَّ مَن عَظَّم الله حفظه الله من المعاصي والذنوب، فتعظيم الله وتوقيره يحجز عن المعاصي، ومن عصى الله ضعف تعظيم الله في قلبه أو انعدم؛ فيستخف العبد بربه، ويستهين بأمره، ولا يقدره حق قدره.

قال بشر بن الحارث: «لو تفكَّر الناسُ في عظمة الله تعالى ما عَصَوْهُ»(١).

قال الحافظ ابن رجب: «فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى؛ محا ذلك من القلب كلَّ ما سواه، ولم يبقِ للعبد من نفسه وهواه، ولا إرادة= إلَّا ما يريده منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلَّا بذكره، ولا يتحرَّك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به»(٢).

ومَنْ تَلبَّسَ بالمعاصي لا يَنْبَغي لَهُ أنْ يَدَّعيَ مَحَبّةَ الله وتعظيمه، وَمَا أحْسَنَ قولَ القائلِ(٣):

تعْصي الإلـه وأنـتَ تُظْهِرُ حُبَّـهُ ... هَـذَا لَـعَـمْـرِي في الـقِـيـاسِ بَـديـعُ

لو كـانَ حُبُّـكَ صـادقـا لأطعْتَـهُ ... إنَّ الـمُـحِـبَّ لِـمَـنْ يُـحِـبُّ مُـطيـعُ

يقول ابن القيم: «ومن عقوباتها -أي: الذنوب والمعاصي- أنها تضعف في القلب تعظيم الرب جلال جلاله، وتضعف وقارَه في قلب العبد ولا بُدّ، شاء أم أبى، ولو تمكَّن وقارُ الله وعظمته في قلب العبد لما تجرَّأ على معاصيه، وربما اغترَّ المغترُّ وقال: إنَّما يحملني على المعاصي حسنُ الرَّجاء، وطمعي في عفوه، لا ضعف عظمته في قلبي، وهذا من مغالطة النَّفس، فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته، وتعظيمُ حرماته يحول بينه وبين الذُّنوب، والمتجرِّئون على معاصيه ما قدروا الله حقَّ قدره، وكيف يقدره حقَّ قدره أو يعظِّمه ويكبره ويرجو وقارَه ويجِلُّه مَن يهون عليه أمره ونهيه؟! هذا من أمحل المحال، وأبين الباطل، وكفى بالمعاصي عقوبةً أن يضمحلَّ من قلبه تعظيم الله جلَّ جلاله، وتعظيم حرماته»(٤).

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٢٩٧، ٢/ ١٢٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (٣٤٤-٣٤٥).

(٣) البيتان لمحمود بن حسن الورَّاق (ت٢٢٥). انظر: بهجة المجالس (١/ ٣٩٥). وهو في (ديوان الشافعيِّ: ٥٥).

(٤) الجواب الكافي (١/ ٦٩).

وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزيِّ: «اعلم؛ أنَّ سماع الغناء يجمع شيئين: أحدهما: أنَّه يُلهي القلبَ عن التَّفكُّر في عظمة الله سبحانه»(١).

وعن مالك بن دينار عند ما سُئِل: مَن سكن جنَّات النَّعيم؟ قال: «الذين همُّوا بالمعاصي، فلمَّا ذكروا عظمة الله -جلَّ جلاله- راقبوه»(٢).

ولأجل ذلك استشعار عظمة الله تعالى تمنع النَّفسَ من ارتكاب المعاصي، ولأجل ذلك أسند الله تحريم قتل النَّفس إلى ذاته بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، يقول ابن باديس: «وفي إسناد التَّحريم إلى الله بعثُ النُّفوس على الخشية من الإقدام على المخالفة، وتنبيهٌ لها على ما يكفُّها عن الإقدام، وهو استشعار عظمة الله»(٣).

الضابط الرابع: تعظيم الله يوجب تعظيم كلامه وتعظيم نبيه ﷺ وسنة نبيه

فمِن تعظيم الله ألَّا يُقَدَّم كلامُ أحدٍ على كلامه، ولا كلام مخلوق على كلام نبيِّه، ولا تقديم شرع على شرع الله ورسوله.

فتعظيم القرآن الكريم من تعظيم الله؛ لأنه كلام الله، ووحي من الله، فيجب تعظيمه، والخشوع عند سماعه، والخوف مما فيه من الوعيد، والتهديد، والرجاء بما فيه من الوعد الكريم، فكلام الله سبحانه وتعالى يكرّم، ويُهاب، ويعظّم، ليس مثل كلام المخلوقين، قال عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[الواقعة].

وكونه كُتِب في الكتاب المكنون لا يُخْرِجه عن كونه كلام الله.

وروى عبد الله بن عمر: أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو(٤).

وفي هذا تعظيم كلام الله، وإبعاده عن أن يُمتهن أو أن يسيء إليه أحدٌ، ولهذا نهي عن أن يسافر به إلى أرض العدو.

---

(١) تبرئة الخليفة العادل (١٩).
(٢) الدُّرّ المنثور (٣/ ١١٥).
(٣) تفسير ابن باديس (٩٣).
(٤) أخرجه مسلم (١٨٦٩).

وتعظيم رسول الله ﷺ من تعظيم الله، فيُجَلّ ويعظم، لأنَّ الله اصطفاه واختاره من سائر النَّاس، ولأنَّ سنته وحيٌ من الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[النجم]، فهو وحي من الله، وكلام رسوله ﷺ.

وتعظيمه أن يكون معظمًا لرسول الله ﷺ تعظيمًا شرعيًّا يليق به، موقرًا له، ومتأدبًا معه وحافظًا لحرمته، ومعظمًا لسنته، قال سبحانه: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[الفتح: ٩].

يقول الشَّيخ حافظ الحكميُّ: «إنَّ الله تعالى قد أمر بتعظيم الرُّسل، فهذا تعظيمٌ لا يتمّ الإيمان بالله إلَّا به؛ إذ هو عين تعظيم الله تعالى، فإنّهم إنّما عُظِّموا لأجل عظمة المرسِل سبحانه وتعالى، فعاد ذلك إلى تعظيم الله ﷻ»[(١)].

لذا؛ نفى الله -سبحانه وتعالى- العظمة والتَّوقير له لمن خالف وأنكر الرُّسل والرسالات، فقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[الأنعام: ٩١].

يقول الشَّيخ صالح آل الشَّيخ: «تعظيم الله -جلَّ وعلا- وتوحيده يُوجِب عليه أن لا يُستهزئ» أي: بآيات الله -جلَّ وعلا- ورسولِه[(٢)].

---

(١) معارج القبول (٢/ ٥١٤).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٨٣).

المصادر والمراجع

١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٣- الإعلام بما في دين النصار من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة.

٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية.

٥- الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٦- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني (ت٥٥٨هـ)، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، لسليمان بن عبد القوي الطوفي (ت٧١٦هـ)، تحقيق: سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٨- الآيات القرآنية الواردة في الرد على البدع المتقابلة، رسالة علمية مقدمة لنيل الدكتوراه، لأحمد علي الزاملي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٧هـ.

٩- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لابن جماعة (ت٧٣٣هـ)، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٠- بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ).

١١- تبرئة الخليفة العادل، لحمود التويجري (ت١٤١٣هـ)، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، ١٣٨٨هـ.

١٢- تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (ت١٤٢١هـ)، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٣- تفسير ابن باديس، لعبد الحميد ابن باديس (ت١٣٥٩هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٤- تفسير ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١٥- تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبيد بن علي العبد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢، السنة ٣٣، ١٤٢١هـ.
١٦- تفسير البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
١٧- تفسير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٨- تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة، لابن عثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
١٩- تفسير العثيمين: جزء عم، لابن عثيمين (ت١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٠- تفسير الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٢١- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العام للكتاب، ١٩٩٠م.
٢٢- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ، دار التوحيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٢٣- التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية، للسعدي (ت١٣٧٦هـ)، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٢٤- تهذيب اللغة، للأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٢٥- تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٣٤٤هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٦- جامع الرسائل، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٧- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢٨- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٢٩- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٠- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (ت٨٧٥هـ)، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٣١- الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، لعبد العزيز الكناني (ت٢٤٠هـ)، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
٣٢- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٣٣- الدر المنثور، للسيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.
٣٤- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
٣٥- السراج المنير، للشربيني (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
٣٦- سنن ابن ماجه (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
٣٧- سنن أبي داود (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا.
٣٨- شرح السنة للبربهاري (ت٣٢٩هـ).
٣٩- شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٤٠- شرح العقيدة السفارينية، لابن عثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٤١- شرح ثلاثة الأصول، لابن عثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ_٢٠٠٤م.

٤٢- شعب الإيمان، للبيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ_٢٠٠٣م.

٤٣- الصارم المسلول، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي.

٤٤- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٥- صحيح مسلم (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٦- صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ_١٩٩٧م.

٤٧- العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤٨- العقد الثمين، لابن غنام النجدي (ت١٢٢٥هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الله الهبدان، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ_٢٠٠٣م.

٤٩- عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية، لصالح بن عبد الله العبود، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٥٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٥١- فتاوى مهمة لعموم الأمة، لابن باز وابن عثيمين، تحقيق: إبراهيم الفارس، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٥٢- فتح الله الحميد المجيد، لحامد بن محمد بن حسين، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المؤيد، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ_١٩٩٦م.

٥٣- فتح رب البرية، لابن عثيمين (ت١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض.

٥٤- قاعدة في المحبة، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

٥٥- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لمحمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ_٢٠٠١م.

٥٦- القول السديد، للسعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة الثالثة.
٥٧- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي (٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ_١٩٩٨م.
٥٨- لباب التأويل، للخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٥٩- مجمع الزوائد، للهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ_١٩٩٤م.
٦٠- مجموع الفتاوى لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ_١٩٩٥م.
٦١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
٦٢- المذاهب الفكرية المعاصرة، د. غالب بن علي العواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ_٢٠٠٦م.
٦٣- مسند الإمام أحمد (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ_٢٠٠١م.
٦٤- معارج القبول، لحافظ الحكمي (ت١٣٧٧هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ_١٩٩٠م.
٦٥- المعجم الأوسط، للطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين، القاهرة.
٦٦- المعجم الصغير، للطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ_١٩٨٥م.
٦٧- معجم المناهي اللفظية، لبكر أبو زيد (ت١٤٢٩هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ_١٩٩٦م.

٦٨- مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٦٩- مفتاح دار السعادة، لابن القيم (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٠- المقصد الأسنى، لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ_١٩٨٧م.
٧١- الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.